



ضحت المعارضة السورية طويلاً بالثورة، وعملت منها لعبةً بيد الدول الإقليمية والدولية. كان مؤتمر "الرياض 2" أحدث الفصول، حيث قبل بجهاتٍ تدّعي أنها معارضة في إطار هيئة التفاوض ووفد التفاوض. وأدى إفشال جنيف الثامن من النظام إلى طرح مؤتمر سوتشي الروسي بديلاً عنه، وقد ناولت أطرافٍ في المعارضة لتسويقه (يعني العريضي وأحمد طعمة وبيان أستانة أخيراً، أمثلة)، أي للمشاركة فيه وإن بشروط؛ ولكن حدة الرد الشعبي، ولاحقاً رفض كتل واسعة في المعارضة والمثقفين، أدى بأبرز القوى السياسية والعسكرية إلى حسم موقفها منه، وإصدار بياناتٍ رافضة للمشاركة فيه. وهنا على المعارضة، بكل أطراها، إصدار بيان حاسم، وإرساله إلى الجهات الدولية والإقليمية، ويفيد برفض "سوتشي" والتهديد بالانسحاب من مسارى أستانة وجنيف، ما لم تعد المفاوضات وفقاً لبيان جنيف1 وقرارات مجلس الأمن التي تفيد بتشكيل مجلس انتقالي كامل الصالحيات .

سارع الروس إلى تجنب فشل "سوتشي" بالإعلان أنه سيتم تحت مظلة الأمم المتحدة، أي لم يعد مؤتمراً روسيّاً. وهذا إقرارٌ روسيٌّ بأن مؤتمرهم فشل، وأن المعارضة يمكنها أن تغيير من المعادلات، وأن الدول الإقليمية والدولية يمكنها شطب كل الحل الروسي إن رغبت. على المعارضة التخلص من انتهازيتها، والمسارعة إلى رفض كل ميرراتٍ جديدةٍ لمؤتمر سوتشي والتمسّك بجنيف، وأن الأخير سيتم في إطار شروط مسبقة ومحدّدة، وتفييد بإلزام النظام التفاوض وفق "جنيف1" ورفض المشاركة في أية مفاوضات أخرى. مانا ستخسر المعارضة مجدداً، إن كانت موافقتها على مؤتمرات جنيف المتكررة تتم لإيقاف الحرب والدخول بالحل السياسي، وهو ما لم يتحقق في كل المؤتمرات التي عقدت من أجله .

تلمسـت المعارضة رفضاً إقليمياً ودولياً رافضاً مؤتمر سوتشي، والتقطـت اللحظـة، وهذا يعني أن دورها ليس هامشـياً. وبالتالي عليها عدم الـاكتفاء بـمراقبـة التـغيرـات الدولـية، بل يفترضـ أن تـنشـغل بـقضايا الدـاخـل، فهو الوـحـيد القـادر على تـأـمين دـعمـ حـقـيقـي لها، ويـسمـح لها بالـمنـاورة في إطارـ الصـرـاع الإـقـليمـي والـدولـي المـحتـدم على مـسـتقـبلـ سورـيـة .

روسـيا المـكـبـلة أولاً بـتجـاهـلـ أمـيرـكي كلـ مـسـتـجـدـاتـ توـرـطـها في سورـيـة. وثـانـياً بـتحـالـفـها مع إـيرـان، وبـدـلاً من السـعـي نحوـ سـيـاسـيـة، تـنـصـفـ المـعـارـضـة ولا تـخـلـى عنـ النـظـامـ. تـعلـنـ، وبـكـلـ عـنـجـهـيـةـ، أـنـ منـ يـريـدـ إـسـقـاطـ النـظـامـ لـنـ يـأتـيـ إـلـىـ سـوـتـشـيـةـ. طـبعـاً تـجهـزـ رـوسـياـ بـذـاكـ عـلـىـ مـؤـتـمرـهاـ بـنـفـسـهـاـ؛ فـأـغـلـيـةـ المـعـارـضـةـ سـتـقـاطـعـ المـؤـتـمـرـ، كـماـ أـوـضـحـتـ. وـبـالـتـالـيـ "ـسـيـخـجلـ"ـ كـثـيـرـونـ مـنـ الـمـشـارـكـةـ. المـعـارـضـةـ الآـنـ فيـ مـوقـفـ قـويـ، لـكـنـهاـ بـلـأـرـجـلـ حـقـيقـيـةـ، فـهـيـ لـاـ تـمـثـلـ الفـصـائـلـ "ـالـهـامـشـيـةـ". وـأـغـلـيـةـ الـمـدنـ السـوـرـيـةـ مـدـمـرـةـ وـمـحـتـلـةـ مـنـ رـوسـياـ وـأـمـيرـكاـ وـإـيرـانـ. قـدـرـتـهاـ عـلـىـ الـمـنـاـوـرـةـ توـسـعـ، إـنـ تـمـكـنـتـ، كـماـ ذـكـرـتـ، بـرـفـضـ كـلـ مـفـاـوـضـاتـ جـديـدةـ إـلـاـ بـشـروـطـ مـسـبـقةـ وـبـبـيـانـ جـنـيفـ. وـيـتـأـتـيـ رـفـعـ السـقـفـ كـذـلـكـ مـنـ خـالـلـ التـعـارـضـ الـوـاسـعـ بـيـنـ الـرـوـسـ مـنـ نـاحـيـةـ وـالـأـمـيرـكـاـنـ وـالـأـورـوـبـيـيـنـ مـنـ نـاحـيـةـ أـخـرىـ. وـإـذـاـ كـانـ الـأـمـيرـكـاـنـ يـخـطـطـونـ لـتـحـجـيمـ إـيرـانـ فيـ سـوـرـيـةـ وـبـقـيـةـ الـبـلـادـ الـعـرـبـيـةـ، فـإـنـ هـذـهـ النـقـطـةـ مـنـ الـمـسـائـلـ الـتـيـ يـمـكـنـ لـالـمـعـارـضـةـ الـاستـفـادـةـ مـنـهـاـ، وـرـفـعـهـاـ شـرـطاـ مـسـبـقاـ فـيـ أـيـةـ مـفـاـوـضـاتـ مـسـتـقـبـلـةـ، إـضـافـةـ إـلـىـ الـمـطـالـبـ بـتـطـيـقـ قـطـعـيـ لـوـقـفـ إـطـلـاقـ النـارـ، وـفـكـ الـحـصارـ، وـإـطـلـاقـ أـعـدـادـ كـبـيرـةـ مـنـ الـمـعـتـقـلـينـ .

ما يـوـسـعـ هـامـشـ الـمـنـاـوـرـةـ لـدـىـ الـمـعـارـضـةـ هوـ الـمـسـارـعـةـ إـلـىـ عـقـدـ مـؤـتـمـرـ وـطـنـيـ لـهـاـ، وـبـكـلـ أـطـيـافـهـاـ، وـيـسـتـثـنيـ مـنـهـاـ بـالـتـأـكـيدـ مـنـ لـاـ يـنـطـلـقـ مـنـ بـيـانـ جـنـيفـ 1ـ بـشـكـلـ أـسـاسـيـ. هـنـاكـ الـآنـ تـعـارـضـاتـ بـيـنـ إـيرـانـ وـتـرـكـياـ وـرـوسـياـ. وـلـهـذاـ لـمـ تـطبـقـ مـقـرـراتـ مـنـطـقـةـ خـفـضـ التـوـرـ بـجـديـةـ فـيـ إـدـلـبـ أوـ الغـوـطـةـ أوـ حـتـىـ درـعاـ، وـكـذـلـكـ لـمـ يـحدـدـ مـصـيـرـ عـفـرـيـنـ. أـيـ أـنـ حـلـ رـوسـياـ مـفـكـكـ، وـيـمـكـنـ لـكـلـ طـرفـ فـيـ هـذـهـ التـحـالـفـ أـنـ يـغـيـرـ مـنـ تـحـالـفـهـ باـسـتـمـارـ. طـبعـاًـ التـحـالـفـ الـآـخـرـ، أـيـ الـأـمـيرـكـيـ الـأـورـوـبـيـ الـخـلـيـجيـ، لـيـسـ فـيـ تـوـافـقـ حـقـيقـيـ إـزـاءـ سـوـرـيـةـ، وـلـاـ سـيـماـ بـعـدـ تـصـاعـدـ الـأـزـمـةـ الـخـلـيـجيـةـ، وـالـقـرـارـاتـ "ـالـمـجـنـونـةـ"ـ لـلـرـئـيـسـ الـأـمـيرـكـيـ، وـلـيـسـ آـخـرـهاـ الـمـتـعـلـقـ بـالـقـدـسـ وـرـفـضـ الـأـورـوـبـيـيـنـ لـهـ .

هـذـاـ الـاـخـتـلـافـ فـيـ موـازـيـنـ الـقـوـيـ، وـعـلـىـ الرـغـمـ مـنـ ضـعـفـ الـمـعـارـضـةـ وـالـثـورـةـ، فـإـنـهـ يـعـطـيـهـاـ قـدرـةـ وـاسـعـةـ عـلـىـ الـمـنـاـوـرـةـ، لـكـنـ ذـلـكـ لـنـ يـكـونـ مـجـديـاـ مـنـ دـوـنـ تـحـقـيقـ الـمـؤـتـمـرـ الـذـيـ نـقـرـحـهـ، وـيـلـهـجـ بـهـ كـثـيـرـونـ فـيـ الـمـعـارـضـةـ السـوـرـيـةـ، وـهـذـاـ يـعـنيـ أـنـ هـنـاكـ شـعـورـاـ عـامـاـ بـوـصـولـ الـوـضـعـ السـوـرـيـ إـلـىـ حـالـةـ كـارـثـيـةـ. النـظـامـ يـتـحـولـ إـلـىـ أـدـاءـ بـيـدـ الـرـوـسـ وـالـإـيرـانـيـيـنـ، وـالـمـعـارـضـةـ تـفـرـطـ تـبـاعـاـ بـأـهـدـافـ الـثـورـةـ وـبـالـمـقـرـراتـ الـدـولـيـةـ، وـالـدـوـلـ الـخـارـجـيـةـ أـصـبـحـتـ مـتـحـكـمـةـ فـيـ الـوـضـعـ السـوـرـيـ، وـإـنـ تـحـكـمـهاـ هـذـاـ بـسـبـبـ غـيـابـ الـمـنـظـورـ الـوـطـنـيـ لـلـنـظـامـ أـوـلـاـ، وـلـلـمـعـارـضـةـ ثـانـياـ، عـنـ تـلـمـسـ كـيـفـيـةـ الـبـدـءـ بـحلـ سـيـاسـيـ، وـإـنـهـاءـ مـأـسـاةـ بـلـادـهـمـ، وـهـوـ مـاـ فـوـتـ كـلـ الـفـرـصـ لـلـحلـ وـمـنـذـ 2011ـ

بـالـتـحـدـيدـ أـكـثـرـ. تـتـعـالـمـ رـوسـياـ الـآنـ مـعـ سـوـرـيـةـ وـكـأنـهـاـ تـمـتـلـكـهـاـ. وـقـدـ أـعـلـنـتـ، أـخـيـراـ، أـنـهـاـ سـتـبـدـأـ عـمـلـيـةـ تـجـهـيزـ قـاعـدـتـيـ حـمـيـمـيـمـ وـوـطـرـطـوـسـ لـتـكـونـاـ دـائـمـيـنـ. وـلـكـنـ مـنـ نـاحـيـةـ أـخـرىـ، تـحـلـ أـمـيرـكـاـ أـكـثـرـ مـنـ ثـلـثـيـ سـوـرـيـةـ. وـهـنـاكـ تـقـارـيرـ تـفـيدـ بـأـنـ إـيرـانـ تـقـاـمـرـ بـفـتـحـ الـطـرـيـقـ الـبـرـيـ لـلـوـصـولـ إـلـىـ حـزـبـ اللهـ، عـبـرـ الـعـرـاقـ فـسـوـرـيـةـ فـلـبـنـانـ، وـتـعـيـدـ تـأـهـيلـ مـعـبـرـ الـبـوـكـمـالـ لـهـذـاـ الغـرـضـ. إـنـاـ مـنـ أـكـبـرـ الـأـوهـامـ الـتـيـ تـقـعـ فـيـهـاـ رـوسـياـ اـعـتـقادـهـاـ أـنـهـاـ تـمـتـلـكـ سـوـرـيـةـ، وـتـجـاهـلـهـاـ أـنـ الـصـرـاعـ إـقـلـيـمـيـ وـالـدـولـيـ عـلـيـهـاـ لـمـ يـنـتـهـ بـعـدـ. يـُـضـافـ هـذـاـ أـنـ أـمـيرـكـاـ وـأـورـوـبـاـ مـاـ زـالـاـ تـتـعـالـمـانـ مـعـ رـوسـياـ باـعـتـبارـهـاـ دـوـلـةـ إـقـلـيـمـيـةـ كـبـيرـةـ، وـتـزـيـدـانـ الـعـقـوبـاتـ عـلـيـهـاـ. وـبـالـتـالـيـ هـذـاـ قـضـائـاـ كـثـيـرـةـ يـمـكـنـ لـالـمـعـارـضـةـ أـنـ تـتـحـرـكـ مـنـ خـالـلـهـاـ، لـكـنـ ذـلـكـ يـفـرـضـ بـالـضـرـورةـ قـرـاءـةـ الـمـشـاهـدـ، الـدـولـيـ وـإـقـلـيـمـيـ

والمحلي؛ وهو ما فعلته بمقاطعتها "سوتشي" أخيرا، وربما للمرة الأولى في تاريخها .

بوضوح نقول إن المشاركة في جنيف وفقاً للجولة الثامنة أخيراً كان أمراً خطأً. وحسناً فعل النظام، ولأسبابه الخاصة، بإفشاله. والخطأ بسبب التخلي عن بيانى الرياض 1 وجينيف 1 والقرارات الدولية، وتمييع فكرة الشروط المسبقة قبل الدخول بالتفاوض. مسار أستانة أيضاً، وبدلاً من تدارس الأوضاع بعد سقوط حلب، كان للتفريط بأية قوة تحوزها الفصائل في بقية المدن السورية، فأستانة، وعبر مقرراته، بنى سجناً لتلك الفصائل، ولم يوقف الحرب ضدّها. والآن تحاول كل من إيران والنظام قضم مناطق واسعة في الغوطة وإدلب ودرعا.. "سوتشي"، كما ذكرت، يجب رفضه بالكامل، وتخوين أيّ أطراف تشارك فيه.

**المصادر:**

العربي الجديد